

كيفية التعامل مع غير المسلم؟

يقع كثير من المسلمين الذين يخشون على دينهم في حيرة ولقّ بسبب هذا السؤال، ويريدون بطرحه الوصول إلى قول فصل، حتى يكونوا على بينة من أمرهم، والإجابة مبسّرة إلى حد بعيد، فكل ما على المسلم أن يفعله أن يرجع إلى كتاب ربه، وستة نبيه، وسيمصل إلى يقينه في ذلك، فالإسلام هو الدين الوحيد الذي قدّم لنا حلاً لتعايش المسلم مع غيره من أصحاب الملل المختلفة، ومن تعليمات الإسلام وإرشاداته أنه نهيتنا وعلمنا كيف نعامل غير المسلم في المائل والمشرب والتكاح وغير ذلك من الأشياء الخاصة بالعلاقة بين المسلمين وغيرهم.

البر بهم والإحسان إليهم

يرشدنا الإسلام إلى أن الأصل في معاملة الناس جميعا مسلمهم وكافرهم البر بهم، والإحسان إليهم، قال تعالى: ﴿لَا يَتَّكِمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن ديارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قاتَلُوكُم فِي الدِّينِ وأَخْرَجُوكُم مِّن ديارِكُمْ وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون﴾ [الممتحنة: 938-]. فلم ترغّب الآيات في العدل والإحسان إلى غير المسلمين فحسب، بل رغبت في البر إليهم أيضا. وإذا كان الإسلام لا ينهاي عن البر والإقسط إلى المخالفين من أي دين ولو كانوا وثنين أو مشركين، فإنه ينظر نظرة خاصة لأهل الكتاب من اليهود والنصارى، فقد قدّم القرآن الكريم نموذجاً في أدب الحوار معهم فلا يتأديهم إلا بقوله تعالى: يا أهل الكتاب، يا أيها الذين آمنوا أوتوا الكتاب، وذلك إشارة إلى أنهم في الأصل أهل دين مساوي، وبينهم وبين المسلمين رحم وقربى، يتمثل في أصول الدين الواحد الذي بحث به الله -سبحانه وتعالى- أنبياءه جميعا قال تعالى: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى إن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ [الشورى: 13].

وقد مات النبي صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عبائه، ودخل وفد نجران على النبي (مسجده بعد العصر)، فكانت صلاتهم، فلماوا يصلون في مسجده، فإراد الناس منهم، فقال: «دعهم»!

فاستقبلوا لشرق فصلوا صلاتهم. وقد أوصى عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وهو على فراش الموت الخليفة من بعده بإهل الذمة

خسيرا، وإن يفي بعهدهم، ولا يظلمهم فوق طاقتهم، والذمة معناها العهد، الذي يشمل عنصرى الثمانين والحمالية وهذا سبق وريادة يُعرف في عصرنا بالحقوق المدنية والجنسية.

والإسلام جعل من بين أركان عقيدته الإيمان بكتب الله قاطبة، ورسله جميعا، ومن ينكر ذلك يدخل في دائرة الكفر، قال تعالى: ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون».

وقد أباح الإسلام مؤاكلة أهل الكتاب وتناول ذبائحهم ومصاهرتهم، والتزوج من نسائهم في الحدود الشرعية المسووحة، قال تعالى: ﴿ووطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ [المائدة: 5].

الرفق في الحديث

حث الإسلام على الترفق في الحديث معهم، ومجادلتهم بالتي هي أحسن: لأن في ذلك نزعا للأحلاف، وتنقية للنفوس مما يعلق بها من حقد، قال تعالى: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإليها وإليهم واحد ونحن له مسلمون» وكذلك حث الإسلام على توفير الحياة الآمنة، كما حث على الصديق في التعامل والعهد والسلام مع غير المسلمين، وقال: (من أدّى دميّا فلانا حلال، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة) [الخطيب]. وقال: (من قلم معاديا، أو انتقص حقا، أو كلفه فوق طاقتة، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس، فانا

■ **العودة: النهي عن إلقاء السلام على اليهود والنصارى جاء في ظرف خاص وفي ظل توتر في العلاقات**

■ **هناك خلاف بين السلف في كيفية التعامل ورد السلام يدل على أن الأمر فيه سعة**

■ **النبي قبل هدية من غير المسلمين وأهدى لهم وهو صاحب الشريعة**

حجيجه يوم القيامة) (أبو داود)، كما أجاز الإسلام للمسلم أن يهدي الهدايا إلى غير المسلمين، وأن يقبل منهم الهدية ويجازيه عليها، فقد ثبت أن النبي (أهدى إليه الملوكة، قليل منهم، وكانوا غير مسلمين، فعن أم سلمة -أم المؤمنين- رضي الله عنها-، أن النبي قال لها، «إني قد أهديت إلى النجاشي حلة وأوافق من مسك» (أحمد).

ويجب على المسلم أن يكون تعامله مع غير المسلم في حدود التقدير فيه لا التآثر به، فكل له عادته وتقاليده، فلا يجوز للمسلم التشبيه بغير المسلم فيما يخالف مبادئ الإسلام، كان يتشبه بهم في ملابسهم، أو يقدم مشروبا محرما لضيفه، أو تلعبا غير حلال للمسلمين، أو ما شابه ذلك.

هذه هي مبادئ الإسلام الخالدة وقيمه السامية التي تتعامل مع الإنسان وتحترمه، فقد كان سهل بن ضيف، وقيس بن سعد قاعدتين بالفارسية، فعرّ الناس عليهما بجنازة فقاما، فقبل لهما: إنيما من أهل الأرض -أي من أهل الذمة- فقلّا: إن النبي (مرت به جنازة فقام، فقبل له: إنيما جنازة يهودي، فقال: (البيست نفسا) [البخاري].

مبادئ إسلامية

هناك مبادئ يجب أن تترسخ في ذهن كل مسلم ليعرف كيف يتعامل مع غير المسلمين ومنها: أولا: اعتقاد كل مسلم بكرامة الإنسان، أيا كان دينه أو جنسه أو لونه، قال تعالى: ﴿ولقد كرّمنا بني آدم﴾ [الإسراء: 70] وهذه الكرامة المفردة توجب لكل إنسان حق الاحترام والرعاية.

ومن الأمثلة العجيبة ما رواه البخاري عن جابر ابن عبد الله: أن جنّازة مرت على النبي صلى الله عليه وسلم فقام لها واقفا، فقبل له: يا رسول الله، إنيما جنّازة يهودي! فقال:«البيست نفسا؟» بلى، ونكّل نفس في الإسلام حرمة ومكان، فما أروع الموقف وما أروع التفسير والتعليل! ثانيا: اعتقاد المسلم أن اختلاف الناس في الدين واقع بمشيئة الله تعالى، الذي منحه هذا النوع من خلقه الحرية والاختيار فيما يفعل ويدع «فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» (الكهف: 29) «ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين» إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم» (هود: 118، 119) قال المفسرون: أي ولا اختلاف خلقهم؛ لأنه منجمهم العقل والإرادة، فانتقضت مشيئته أن يختلفوا.

المسلم يؤمن أن مشيئة الله لا راد لها ولا معقب، كما أنه لا يشاء إلا ما فيه الخير والحكمة، علم الناس ذلك أو جهلوه؛ ولهذا لا يفكر المسلم يوما أن يجبر الناس ليصيروا كهم مسلمين، كيف وقد قال الله تعالى لرسوله الكريم:«ولو شاء ربك لأمّن من في الأرض كلهم جميعا فاقتلت تكفّر الناس حتى يكونوا مؤمنين» (يونس: 99).

ثالثا: ليس للمسلم مكلفا أن يحاسب الكافرين على كفرهم، أو يعاقب الضالين على ضلالهم، فهذا ليس إليه، وليس موعده هذه الدنيا، إنما حسابهم إلى الله في يوم الحساب، وجزاؤهم متروك إليه في يوم الدين. قال تعالى:﴿وإن جادلوك فقل: الله أعلم بما تعملون، الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون﴾ (الحج: 68، 69). وقال يخاطب رسوله في شأن أهل الكتاب: ﴿قلّك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمّنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير﴾ (الشورى:15).

وقد قال عيسى عليه السلام لربه يوم القيامة: «إن تعذيب قائمهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم» (المائدة: 118).

وبهذا يستريح ضمير المسلم، ولا يجد في نفسه أي اثر للصراع بين اعتقاده بغير الكافر، ومطابقته بيرد والإقسط إليه، وإقراره على ما يراه من دين واعتقاد.

رابعا، إيمان المسلم بأن الله يامر بالعدل، ويحب القسط.

تولى عمر بن العزيز في ربيع الأول من عام 87هـ إمارة المدينة المنورة في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك، ثم ضم إليه ولاية الطائف سنة 91هـ وبذلك صار وأثبا على الحجاز كلها؛ واشتدّ عمر لتوليه الإمارة ثلاثة شروما: الشرط الأول:أن يعمل في الناس بالحق والعدل ولا يظلم أحدا ولا يجوز على أحد في أخذ ما على الناس من حقوق ليت لئال، ويترتب على ذلك أن يأل ما يرفع للخليفة من الأموال من المدينة، الشرط الثاني: أن يسمح له بالحق في أول سنة لأن عمر كان في ذلك الوقت لم يحج؛ الشرط الثالث: أن يسمح له بالعبء أن يخرج له للناس في المدينة فوافق الوليد على هذه الشروط.

بأشر عمر بن عبدالعزيز عمله بالمدينة وفرح الناس به فرحا شديداً؛ واتخذ لنفسه مجلسا للشورى والذي تكون من فقهاء وعلماء حيث دعا بعد أن تولى مباشرة عشرة من فقهاء المدينة، وهم غررة ابن الزبير، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وأبو بكر بن سليمان بن أبي خيثمة، وسليمان بن يسار، والقاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله بن عمر، وأخوه عبد الله بن عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عامر بن ربيعة وخارجة بن زيد بن ثابت، فدخلوا عليه فجلسوا الحمد لله والثني عليه بما هو أهله، ثم قال: إني دعوتكم لأمر تؤجرون عليه، وتكونون فيه أعوانا على الحق، إني لا أريد أن أقطع أمرا إلاّ ب رأيكم أو برأي من حضر منكم، فإن رأيتم أحدا يتعدى، أو يبلغكم عن عامل لي فلامه، فأحرج الله علي من بلغه ذلك إلا أبلغني، لقد عرفت أن عمر بن الخطاب كان يجمع المجلس للأمير بطرا، فبى ضرورة الشورى فيه، أما عمر بن عبدالعزيز، وهو سبط عمر بن الخطاب، فقد أحدث مجلسا، حدد صلاحياته بإسرين: أنهم أصحاب الحق في تقرير الرأي، وأنه لا يقطع أمرا إلاّ ب رأيهم، وبذلك يكون الأمير قد تخلى عن اختصاصاته إلى هذا المجلس، الذي تسميه (مجلس العشرة) إن عمر افترض - غياب

إمارته على المدينة المنورة وسع مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر من والوليد بن عبد الملك، حتى جعله مائتي دراعا في مائتي ذراع، زخرفه بأمر الوليد أيضا، مع إنه رحمه الله تعالى كان يكره زخرفة المساجد ، ويوضح من موقف عمر بن عبد العزيز هنا أنه قد يضطر الوالي للتجاوب مع قرارات ممن هو أعلى منه حتى وإن كان غير مقتنع بها إذا قدر أن المصلحة في ذلك أكبر من جوده أخرى. وفي إمارته على المدينة في سنة 91هـ حج الخليفة الوليد بن عبد الملك فاستقبله عمر بن عبد العزيز أحسن استقبال، وشاهد الوليد بأمر عينيه الإصلاحات العظيمة التي حققها عمر بن عبد العزيز في المدينة المنورة.



اشتدّ عمر ثلاثة شروط لقبول الولاية

عمر في المدينة.. عدل مع الناس وحرص على طاعة ولي الأمر

أحدهم عن الحضور لعذر من الأعذار ولهذا لم يشترط في تدبيره حضورهم كلهم، وإنما قال: (أو برأي من حضر منكم)، إن هذا المجلس كان يستشار في جميع الأمور دون استثناء، وتؤكد هذه القصة أهمية العلماء الربانيين وعلو مكانتهم وأنه يجب على صاحب القرار أن يدينهم ويفرهم منه ويشاورهم في أمور الرغبة، كما أنه على العلماء أن يلتفتوا حول الصالحين من أصحاب القرار من أجل تحقيق أكبر قدر ممكن للصالح وتقليل ما يمكن من الفساد، كما أن عمر بن عبد العزيز لم يختص في شؤراه على هؤلاء فحسب، بل كان يستشير غيرهم من علماء المدينة، كسعيد بن المسيب، والأزهري، وغيرهم، وكان لا يقضي في قضاء حتى يسأل سعيد، وفي المدينة أظهر عمر عبد العزيز إجلاله للعلماء وإكباره لهم، وقد حدث أن أرسل رحمه الله تعالى رسولا إلى سعيد بن المسيب يسأله عن مسألة، وكان سعيد لا يأتي أمير ولا خليفة فأخطأ الرسول فقال له: الأمير يدعوك، فأخذ سعيد نعليه وقام إليه في وقته، فلما راه عمر قال له: عزمت عليك يا أبا محمد إلا رجعت إلى مجلسك حتى يسألك رسولنا عن حاجتنا، فإنا لم نرسله ليدعوك، ولكنه أخفا

■ **قُرب العلماء**

■ **الربانيين من**

■ **ابن عبدالعزيز زاد**

■ **المصلحة وقلل**

■ **المفسدة**

عرب الصحراء أصبحوا سادة الأمم بالأخلاق

عند الله أعظم من حرمك؛ ماله ودمه)؛ اللفظ لابن ماجه.

مكانة الأخلاق في ديننا

للأخلاق في ديننا مكانتها الخاصة وميزانها الربيعية، لدرجة أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قصر الهدى من رسالة الإسلام على تنميط مكارم الأخلاق في واقع الناس وسلوكهم. وهذا مدلول لوله- صلى الله عليه وسلم-: «إنما بعثت لأتم مكارم الأخلاق»، وهذا حق وصق؛ حيث نلاحظ دائما أن الهدف الخلقى والسلوكي هو المبتغى من وراء التكليف بالعبادة في إجمالها وفي تفصيلها، فعلى سبيل الإجمال نقرأ قوله تعالى: (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون)، وعلى سبيل التفصيل نقرأ قوله تعالى في شأن الصلاة: «وأقم الصلاة» وفي شأن الزكاة «خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم»، فلا عجب إذا أن يعتبر سلفنا الصالح الدين هو الحق، وهذا ما عبر عنه ابن القيم- رحمه الله- بقوله: «الدين الحق، فمن زاد عنك في الحق زاد عنك في الدين، ومن نقص عنك في الدين نقص عنك في الدين». وهكذا فإن النبي صلى الله عليه وسلم غير حال أمة العرب من الظلام إلى النور ومن سوء الخلق إلى حسن الخلق ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والأخرة.

«فياح هؤلاء البشر إلى ما صاروا عليه بعد إسلامهم، وإن يصحوا بهذه الأخلاق الفادرة التي هي رسالة السماء إلى الأرض، من خلال النبي الذي كان معروفا بين قوم -ه- من قبل أن يبعث -ه- بالصادق الأمين -ه- صلى الله عليه وسلم -ه- فقد حول مولد الهادي وبعثته -ه- رعاة الغنم إلى سادة وقادة لجميع الدول والأمم، كان الرجل من الصحابة -ه- مثلا -ه- يأتي من الجاهلية جاهلا بكل ما تحمله الكلمة من معنى، غير مؤمن بشيء من أمور الدين، ولا بأخلاق، فيبف غامه الرسول -ه- صلى الله عليه وسلم -ه- فيخبره الرسول -ه- بأهم الصلاة والسلام -ه- بأمر الإسلام والإيمان، وما يجب عليه، وخلال جلسات قليلة -ه- أو ساعات قليلة -ه- نجد هذا الإنسان قد انقلب خلقا آخر، وتغير تغيرا جذريا، تغير في سلوكه، وفي أخلاقه، وفي شخصيته، وفي نظراته، وفي تصرفاته، حتى كأنه ليس الشخص السابق، وأذلك صار يظهر منهم البطولات التي يفك الإنسان أمامها مبهورا، وهو يقرأها على صفحات الكتب، فيستغرب كيف وصل بشر من البشر إلى هذا الحد. وأحيانا خلال فترة قصيرة جدا».

وأكبر دليل على ذلك أننا في عصرنا الحاضر بعد أن تخلفنا عن أخلاقنا ضاعت منا الدنيا، بعد أن كنا تملكها، وأصبح أرخص دم يراق على الأرض هو دم المسلم، هذا المسلم الذي قال فيه النبي فيما يرويه عبدالله بن عمرو، قال: رأيت رسول الله -ه- صلى الله عليه وسلم -ه- يطوف بالكعبة، ويقول: (ما أطيبك! وما أطيبك ريحاً! ما أعظمك! وما أعظم حرمك! والذي نفس محمد بيده، حرمة المؤمن

إن حياة نبيّنا محمد - صلى الله عليه وسلم - مليئة بما يثبت ويدل على أن هذا الدين ما أتى إلا لمغير طابع البشر إلى الأخلاق الحميدة الحسنة، التي كانت في مرحلة قبل النبي - صلى الله عليه وسلم - قد وصلت إلى أسوأ ما تكون عليه البشرية من طبايع وعادات وتقاليده، اللهم إلا القليل، ولكم كان من الصعب أن يتخيل أحد أن يكون العرب الأجلاف الصعاب الأشداء بهذه الأخلاق التي سموا بها على الدنيا! وسادوا الدنيا بعد أن هذب النبي - صلى الله عليه وسلم - أخلاقهم بوحى من الله - عز وجل - حتى يكون سبب أو أحد أسباب تملككم للدنيا هي أخلاقهم.

العرب قبل الإسلام

فبظنرة إلى مجتمع العرب وقت رسالة النبي - صلى الله عليه وسلم - نجد أن أخلاق العرب في قمة السوء حيث أولعوا بالخمر والفقر، وشاعت فيهم الغارات وقطع الطريق على القوافل، والعصبية والتظلم، وسكّ الدماء، والأخذ بالثأر، واغتصاب الأموال، وأكل مال اليتامي، والتعامل بالربا، والسرقة والزنا، وما ينبغي أن يعلم أن الزنا إنما كان في الإماء وأصحاب الربايات من البغايا، ويشتر أن يكون في الخمر، وليس ادل على هذا من أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أخذ البيعة على النساء بعد الفتح: «على أن لا يشركن بالله شيئا، ولا يسرقن، ولا يزني» «فالت السيدة هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان؛ أوتزنى الحرة؟»

وله كان شربا من الخيال أن يتخيل أي أحد أن تتغير

